

مجلة جامعة أم القرى

مجلة فصلية للبحوث العلمية المحكمة

السنة الثالثة　　العدد الخامس　　العام ١٤١١ هـ



ناظـــر الحـــرم في العصر المملوكي

د. عبد الكريم علي باز*

* أستاذ مساعد بقسم التاريخ الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى حصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي في سنة ١٤٠٥ هـ من جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

ملخص البحث

البحث مكون من مقدمة بينت فيها سبب اختياري لهذا الموضوع وهو الغموض الذي كان يحيط بهذه الوظيفة فكان هذا اللفظ (ناظر الحرم) كثيرا ما يظهر في كتب تاريخ مكة الخاصة بالعصر المملوكي دون تحديد لمفاهيمه ثم عرضت منهجي في كتابة هذا البحث .

والبحث يشمل التعريف بمعنى الناظر في اللغة وبيان مهامه العامة بناءا على المصطلحات الإدارية في ذلك العصر .

وأن والدولة الإسلامية اهتمت بشئون الحرمين اهتماما بالغا منذ خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكن لم تعين الحكومة الإسلامية موظفا مختصا بهذه المهام إلا في العهد العباسي وقبل ذلك كان الخلفاء عندما يأتون للحج ينظرون في أحوال المسجد الحرام والكعبة المشرفة ثم يأمرون بإجراء الاصلاحات اللازمة وهذا حتى عهد المهدي العباس وبعد المهدي كان صاحب البريد في مكة يكتب للخلفاء بما يراه من وجوب اصلاحات بالمسجد الحرام حتى حوالي منتصف القرن الخامس الهجري حيث أصبحت الدولة الإسلامية تعين موظفين مختصين للنظر في شئون المسجد الحرام وكان يعرف هذا الموظف بشيخ الحرم حتى العصر المملوكي عندما ظهر لفظ الناظر في نظام تلك الدولة فكان بها ناظر الجيش وناظر الأوقاف وناظر الخاص وغير ذلك من أرباب الوظائف الإدارية أصبح شيخ الحرم أيضا يطلق عليه اسم ناظر الحرم . وقد تولى أمر هذه الوظيفة في العصر المملوكي ٢٩ ناظرا .

وبعد استعراض لمن تولى أمر هذه الوظيفة في العصر المملوكي وفترة توليه اياها وذلك استخلصته من خلال استقرائي للتواريخ الحوليه لمكة المكرمة وبيان ما جمع له من وظائف إلى جانب وظيفة النظر عقدت فصلا عن المهام المناطه بصاحب هذه الوظيفة وما ذلك إلا من خلال النصوص التي وقفت عليها في كتب التاريخ والتراجم التي ترجمت لمن تولى هذه الوظيفة فلم تكن المراسيم الصادرة والخاصة بهذه الوظيفة تعطينا صورة واضحة عن المهام المناطه بهذه الوظيفة فكل ما كنت أقف عليه مثلا أنه في سنة كذا جاء تقليد لأبي اليمن الطبري للنظر في شئون الحرم .

وبعد رجوعي إلى ترجمة ذلك المخلوع عليه بالوظيفة في كتب التراجم وفي كتب التاريخ العام التي ارخت للفترة التي تولى فيها هذا الموظف هذه الوظيفة اتضحت لي الصورة عن الوظيفة وما يتعلق بها من مهام .

وبعد ذلك حاولت أن أقف على مصدر دخل متولي هذه الوظيفة وأخيرا الخاتمة والتي عرضت فيها أهم النتائج التي خلصت بها من هذا البحث .

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي جعل هذا البيت مثابة للناس وامناً ، والصلاة والسلام على خير خلقه الذي طهر بيت ربه من رجس الوثنية في يوم « وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً » وبعد .

فآني لما كنت أبحث في تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام لفت نظري تعدد الوظائف الخاصة بمكة ، وبالمسجد الحرام ، ومن ضمن ما استوقفني وظيفة ناظر المسجد الحرام ، فهذا اللفظ كثيراً ما يظهر في كتب تاريخ مكة ، وخاصة في العصر المملوكي ، ولاحظت أن هذا اللفظ لم يكن ظاهراً وشائعاً قبل هذا العصر ، كما أن عبارة ناظر الحرم لم تكن تأتي إلا حين صدور تقليد أو توقيع بتولي أحد الأعلام هذه الوظيفة ، ولم تتحدث النصوص عن مهمة هذه الوظيفة بشيء من الايضاح ، بالرغم من أهميتها حيث لايمكن أن يتولاها فرد إلا بتقليد من السلطان نفسه ، كما أنه لا يتقلدها إلا صاحب مركز ديني في مكة المكرمة كالقاضي أو الخطيب فهذا ما دفعني للبحث عن حقيقة هذه الوظيفة .

وقد اتبعت في منهج بحثي هذا ، اني عرَّفتُ معنى الناظر في اللغة وبينت مهمته العامة بناءً على المصطلحات الادارية ، ثم بدأت بعرض موجز لبعض من تولى أمر النظر في شئون الحرم للفترة التي سبقت العصر المملوكي ، ولو أن لفظ الناظر لم يطلق قبل العصر المملوكي على من يتولى مهمة الاشراف على شئون الحرم بل كان يعرف بشيخ الحرم .

ثم بعد ذلك بينت من تولى أمر هذه الوظيفة في العصر المملوكي مع شيء من الدراسة المتعلقة باحوالها ، وعلقت على كل ما أحدث أو تغير على حال هذه الوظيفة في حينه وأثناء ذكر اسم الناظر الذي حدثت في عهد ولايته تلك الأحداث أو التغيرات . وبعد هذه الدراسة خلصت إلى تقديم قائمة بأسماء الذين تولوا هذه الوظيفة في العصر المملوكي .

وبعد هذا العرض حاولت أن ابين بعض المهام المناطة بالناظر من خلال بعض النصوص التي وقفت عليها .

ثم ختمت البحث ببعض النقاط التي استخلصتها من هذا البحث كعرض عام دون توثيق لما ذكرت باعتبار أن ذلك الأمر قد عرض أثناء الدراسة . والله أسأل أن أكون قد وفقت واسأله أن ينفع به الباحثين في هذا المجال .

ناظر الحرم في العصر المملوكي

اسم هذه الوظيفة مأخوذ ، إما من النظر الذي هو رأي العين : لأنه يدير نظره في أمور ما ينظر فيه ، وإما من النظر الذي بمعنى الفكر : لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك[1]

والناظر هو الحافظ والمدبر للأمر بما يرى فيه مصلحته ، ويقال للسلطان إذا بعث أميناً يستبري أمر جماعة : بعث ناظراً[2] ووظيفة النظر من الوظائف المالية وقد جعل القلقشندي أصحابها من كتاب الأموال وقال :

« وهو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها ويرفع اليه حسابها لينظر فيه ، ويتأمله فيمضي ما يمضي ، ويرد ما يرد »[3] واطلاق لفظ الناظر على بعض أرباب الوظائف لم يظهر أو يعرف إلا في العصر الفاطمي[4] ولم أقف على هذا الإسم في وظائف الدولة الإسلامية قبل العصر الفاطمي

وان عُرفت هذه الوظيفة في العصر الفاطمي أو الأيوبي الذي تلاه ، إلا أنها كانت محددة التواجد[5] ولكنها انتشرت وتعددت في العصر المملوكي ، وتعدد

١ـ صبح الأعشي في صناعة الانشاء/ احمد بن علي القلقشندي ٥ : ٤٦٥ ، الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية /د . حسن الباشا ٣ : ١١٧٧

٢ـ لسان العرب مادة نظر

٣ـ صبح الأعشى ٥ : ٤٦٥

٤ـ الفنون الإسلامية ٣ : ١١٧٨

٥ـ الفنون الإسلامية ٣ : ١١٧٨

النظّار في الدولة ، وأصبح لفظ ناظر يضاف إلى إسم الوظيفة ، ويطلق على متولي شؤنها المالية فيقال : ناظر الجيش ، وناظر الخاص ، وناظر الحرم ، وناظر الأوقاف ، وغير ذلك من الوظائف التي تحتاج إلى متول خاص ويتولى شؤنها المالية . والإهتمام بالنظر في شؤن الحرم والكعبة المشرفة أمر مألوف وسنة قديمة من قبل البعثة المحمدية فنعرف كيف أهتمت قريش باعادة بناء الكعبة المعظمة ، ولما قامت الدولة الإسلامية أصبح من واجب الخلفاء النظر في أحوال الحرم ، وكان الخلفاء عندما يأتون للحج ينظرون في أحوال المسجد الحرام والكعبة المشرفة ، ثم يأمرون باجراء الاصلاحات اللازمة لذلك . أو قد يكتب أحد أعيان الدولة إلى أولي الأمر بما يراه من الاصلاح في الحرم كما جرى ذلك في سنة ٢٨١هـ (٨٩٤م) حيث كتب صاحب البريد بمكة إلى الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب بما يحتاجه الحرم من الاصلاحات وذلك في زمن خلافة المعتضد العباسي [١]، أما أمر الكعبة فكان النظر في شؤن اصلاحها مناط بالحجبة ، كما فعلوا في نفس السنة ، عندما رفع الحجبة إلى بغداد في أمر إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح في الكعبة المعظمة[٢] ولكن بعد هذا أصبحت الدولة الإسلامية تعين موظفاً مختصاً للنظر في شؤن الحرم . فتعين موظف للنظر في شئون الحرم أمر معروف في تاريخ الدولة الإسلامية من قبل قيام سلطنة المماليك ، ولكن كان يعرف بشيخ الحرم الذي ينظر في مصالحة .

وفي كتب التاريخ كثير من النصوص التي تبين ذلك وهذا ما أستخلصته من بعض العبارات التي جاءت في بعض كتب التاريخ العام أو بعض كتب التراجم .

وأول ما وقفت على لفظ شيخ الحرم ماورد في سنة ٤٦١ هـ(١٠٦٨م) في ترجمة أحمد بن أسد بن أحمد بن باذل الكوجي شيخ الحرم[٣] وجاء أيضاً في اتحاف

---

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين / تقي الدين الفاسي ٦ : ٥٨، أخبار مكة / أبو الوليد الأزرقي ٢ : ١١٠، ١١١، اتحاف الورى بأخبار أم القرى / نجم الدين بن فهد ٢ : ٣٤٨، ٣٤٩

(٢) أخبار مكة ٢ : ١١١

(٣) العقد الثمين ٣ : ١٧ ترجمة رقم ٥٢

الورى ضمن وفيات هذه السنة بنفس العبارة[1] ونص ثان في طبقات الشافعية[2] في ترجمة سعد ابن علي بن محمد أبو القاسم الزنجاني « جاور بمكة مدة وصار شيخ الحرم » وانه توفى سنة ٤٧١هـ (١٠٧٨م) ونص آخر في اتحاف الورى[3] جاء فيه : وفيها ـ سنة عشر وستمائة ـ جاء أبو الحسن علي بن مظفر بن علي الشهير بابن الحبير الهيتي لمشيخة الحرم ، ولم يزل متوليها إلى أن مات في خمس وعشرين .

وبالنسبة لأبي الحسن هذا هناك نص في العقد الثمين[4] نستدل منه على أن شيخ الحرم هو المتولي أمر النظر في مصالحه ، فجاء في ترجمته « سمع من ابن البطي ، وغيره ، وحدث ، وتولى النظر في مصالح المسجد الحرام ومصالح الكعبة » ، ومنه نستدل أيضاً أن أمر النظر في مصالح الكعبة لم يكن في هذه الفترة في الشيبيين وأن أمر النظر في مصالح المسجد الحرام والكعبة مناط إلى شخص واحد ، وليس للحجبة إلا أمرهم المشروع وهو أمر المفتاح فقط . ونص آخر في ترجمة كمال الدين أبو الفضل النويري ، وهو من الذين تولوا أمر هذه الوظيفة في العصر المملوكي ، نستدل منه أيضاً على أن شيخ الحرم هو الذي أصبح في العصر المملوكي ناظر الحرم ، فجاء في النص : « وولي مع ذلك خطابة الحرم ونظره ، وكان يعبر عن نظره فيما مضى بمشيخة الحرم[5] » وإن كان لفظ شيخ الحرم ظل معمولا به حتى العصر المملوكي في فترة تولي ابن الضياء الحموي[6] . وبعد ابن الحبير تولى منصور بن منعة هذه الوظيفة ، ويعتبر منصور ابن منعة هو أول ناظر حرم في العصر المملوكي .

---

١ ـ اتحاف الورى ٢ : ٤٧٢

٢ ـ طبقات الشافعية تاج الدين السبكي ٤ : ٣٨٤ ، وانظر ترجمته في العقد الثمين ٤ : ٥٣٥ رقم ١٢٦٦ ، العبر في أخبار من عبر/للذهبي ٢ : ٣٢٩ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ابن تغرى بردى ٥ : ١٠٨

٣ ـ اتحاف الورى ٣ : ١٨

٤ ـ العقد الثمين ٦ : ٢٦٨ برقم ٣٠٢٧

٥ ـ المصدر السابق ١ : ٣٠١

٦ ـ أنظر ص١٥٢ من البحث

فبعد ابن الحبير قلد منصور ابن منعة أمر الحرمين من سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٦م) وظل حتى وفاته سنة ٦٦٤[1] (١٢٦٥م) أي في خلال العصر المملوكي - ولكن الذي جاء في ترجمة ابن الحبير سلف منصور بن منعة أنه لم يزل متوليهما - مشيخة الحرم - حتى وفاته سنة ٦٢٥هـ[2] (١٢٢٧م) والفاسي ذكر وفاة ابن الحبير شيخ الحرم في سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨م)

فالذي يبدو ان هناك خلافاً في تاريخ وفاة ابن الحبير والذي يظهر انه توفي قبل هذا اي في سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٦م) حيث خلت الوظيفة فتولاها منصور بن منعة في هذا التاريخ ، وكما يتضح مما سبق ان منصور ولي أمر الوظيفة قرابة أربعين عاماً .

ولو أن التقي الفاسي يستبعد ذلك لكون نجم الدين التبريزي قد ولي مشيخة الحرم في خلال هذه الفترة يقول التقي الفاسي « إلا أن يكون مشاركاً للشيخ نجم الدين »[4] وأقول قد يكون منصور بن منعة عزل في فترة من الزمن بالشيخ التبريزي ، ثم أعيد إلى وظيفته وظل حتى وفاته في سنة ٦٦٤ (١٢٦٥م) وبالرغم من هذا فلا أستطيع أن أجزم بأن نجم الدين التبريزي قد ولي أمر مشيخة الحرم في العصر المملوكي فالنصوص لم تحدد تاريخ ولايته فقد يكون وليها قبل العصر المملوكي ، ولهذا لم أجعله ممن ولي أمر المشيخة في العصر المملوكي ، على هذا جعلت منصور بن منعة هو أول من ولي هذه الوظيفة في العصر المملوكي باعتبار أنه توفي وهو مباشر للوظيفة في سنة ٦٦٤ أي في الفترة التي كان الحجاز قد خضع فيها لحكم مماليك مصر ، وما ذلك إلا بمقتضى التقليد الذي قلد به الخليفة العباسي المستنصر بالله السلطان الظاهر بيبرس أمر البلاد الإسلامية بما فيها الحجاز في سنة ٦٥٩هـ[5] (١٢٦١م) .

---

١ - العقد الثمين ٧ : ٢٨٥ برقم ٢٥٢٥

٢ - اتحاف الورى ٣ : ١٨

٣ - العقد الثمين ٦ : ٢٦٨ برقم ٣٠٢٧

٤ - المصدر السابق ٧ : ٢٨٦

٥ - السلوك في أخبار دول الملوك / تقي الدين المقريزي ١ / ٢ : ٤٥٤ إلا أحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي /ريتشارد مورتيل ٥٤ .

وبهذا التقليد أصبح للمماليك حق فرض السيطرة السياسية على الحجاز ، كما أنه في سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٤م) تسلم جمال الدين ابن الموصلي الموقع مفاتيح الكعبة وأباحها ثلاثاً بغير شيء ، ثم قفلها بالقفل المسير صحبته ، وليكون نائب السلطان بيبرس بمكة[١] . وفي سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م ، ١٢٦٩م) أصدر السلطان بيبرس أول تقليد بأمرة الحجاز للشريف ابن نمي[٢] ، وفي هذه السنة أيضاً حج السلطان بيبرس وبعد فراغه من الحج ولى الأمير شمس الدين مروان أميراً من جهته نائباً بمكة[٣] وبهذا كله أصبح ملك المماليك على الحجاز ظاهراً . وعلى هذا اعتبرت منصور بن منعة هو أول ناظر للحرم في العصر المملوكي ومنصور هذا هو وحده الذي ولي أمر النظر في مصالح الحرمين معاً[٤] ولم أقف على غيره قد قلد أمرهما معاً من قبله ومن بعده في خلال العصر المملوكي ـ سوى سودون المحمدي ـ[٥] ، فقد جاء في ترجمته « شيخ الحرمين وجاء أيضاً وقلد أمرهما يعني الحرمين[٦] » ولكن بالرغم من هذا فنحن نقف على أول توقيع في العصر المملوكي أصدره الخليفة المستنصر العباسي بشأن هذه الوظيفة بعد وصوله من بغداد إلى مصر في سنة ٦٥٩هـ[٧] (١٢٦٠م) إلى عبد الرحمن بن عبد المعطي الأنصاري[٨] ، وابن أخيه عبد المعطي ابن أحمد الأنصاري[٩] فوض اليهما النظر

---

١ ـ السلوك ١/٢:٥٠٤ مورتيل ٥٤

٢ ـ اتحاف الورى ٣:٩٣ ، العقد الثمين ١:٤٥٩

٣ ـ اتحاف الورى ٣:٩٨ ، السلوك ١/٢:٥٨

٤ ـ اما لفظ ناظر الحرمين الشريفين فيطلق على من تولى مهمة النظر في مصالح حرمي القدس الشريف وحرم الخليل عليه السلام وهي من وظائف العصر المملوكي ايضا ، ولكن هذا لم يكن بالنسبة لحرمي مكة المكرمة والمدينة المنورة (الفنون الاسلامية ٣:١١٩٩ ، النجوم الزاهرة : ١٥:٤٤٤ .

٥ ـ اتحاف الورى ٤:١٢٨ ـ ١٢٩ وانظر ص١٦٢ من هذا البحث .

٦ ـ العقد الثمين ٧:٢٨٥ ، ٢٨٦

٧ ـ البداية والنهاية / ابن كثير ١٣ : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، السلوك ١/٢=٤٤٨-٤٥٣ ، النجوم الزاهرة ٧:١٠٩-١١٧

٨ ـ انظر ترجمته في العقد الثمين ٥:٢٨٢ برقم ١٧٥٢

٩ ـ انظر ترجمته في العقد الثمين ٥:٤٩٦ برقم ١٨٧١

في مصالح المسجد الحرام وأمر الأوقاف والربط والمدارس اظهاراً لشعار خلافته على مكة وغيرهما[1] ونص هذا التوقيع هو : « وبعد فانه لما رد الله إلينا أمور المسلمين واقامنا ائمة للخلق اجمعين ، وجعلنا خلفاء بلاده ، ونوابه في عباده ، ألهمنا الله العدل المزلف لديه ، ووفقنا للعمل المقرب اليه ، بفضله وكرمه ولما وصل الشيخان الأجلان الأمينان الصدران الكبيران العدلان المرتضيان ، ولِيا دولتنا ، مجيبا بيعتنا ، وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد المعطي ، وابن أخيه شرف الدين عبد المعطي بن أحمد بن عبد المعطي الأنصاريان الينا ، وحضرا الينا أرانا الله الصواب أن نقلِّد أمر الحرم الشريف بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ اليهما ، ويعتمد عليهما في الاهتمام بمصالحه ، والقيام بعمارته . وكذلك أمر الربط والمدارس والأوقاف بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ وحضورهما للخطبة لنا ، السكة باسمنا والسبيل والمحمل ، وصعود الأعلام العباسية المنصورة إلى جبل عرفات قبل اعلام زعماء البلاد من جميع الجهات اذنا لهما ان يستنيبا من شاءا ، وان يكاتبا زعماء الحجاز واليمن وسائر البلاد بالطاعة لله ورسوله ولأمير المؤمنين ـ عز الله انصاره ـ باجابة بيعته وطاعته وعونه وأخذ البيعة له ، وعلى من يليه من الرعايا ، واقامة الخطبة ، وضرب السكة باسمه ، والحمد لله وحده » انتهى . إلا أن هذا النص لم يبين لنا مسمى وظيفة وجيه الدين وابن أخيه شرف الدين وإنما بين لنا مهمتهما بانهما قلدا أمر الحرم والاهتمام بمصالحه . ولو أن التقي الفاسي[2] والنجم بن فهد[3] قد وصفاها بلفظ النظر ، ولكن كتب التاريخ وحتى كتب التراجم التي ـ ترجمت لهذين الشخصين وخاصة العقد الثمين الذي اهتم بالتراجم لأهل مكة ـ لم تبين لنا ما هو مصير هذا التقليد ومدى تنفيذه ، فالتقليد حصل في القاهرة ، ولم تخبرنا المصادر التاريخية ان وجيه الدين وابن أخيه قد باشرا أمر هذه الوظيفة ، أو عن حضورهما إلى مكة لمباشرة وظيفتهما الجديدة ، ونحن نعرف ـ كما سبق ـ أن الفترة التي حصل بها هذا التقليد كان منصور بن منعة يلي فيها وظيفة شيخ الحرم

---

١ ـ اتحاف الورى ٣ : ٨٥، ٨٦ ، العقد الثمين ٥ : ٣٨٣-٣٨٤

٢ ـ العقد الثمين ٥ : ٣٨٣

٣ ـ اتحاف الورى ٣ : ٨٥

والنظر في مصالحه والذي تولاها من سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٦م) إلى سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٥م) وإن كان قد تخلل في هذه الفترة بعض من الشخصيات التي تولت أمر هذه الوظيفة[1] فالذي يبدو أن وجيه الدين وابن أخيه شرف الدين لم يباشرا عملهما الجديد وذلك إما أنهما لم يحضرا إلى مكة لتوليها ، فكما ذكرت أن العقد الثمين لم يذكر قدومهما إلى مكة المكرمة بعد تقليدهما هذه الوظيفة في القاهرة ـ وذلك لكون الخليفة العباسي المستنصر قد قتل بعد ذلك ، عندما خرج ليسترد بغداد من يد التتار[2] في المحرم من سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م) ـ أو أنهما لم يتمكنا من مباشرة هذه الوظيفة بعد وفاة الخليفة الذي قلدهما اياها . ولهذا لم أجعلهما ضمن من تولو وظيفة ناظر الحرم ، وهذا لا يستبعد فأمر الخلافة لم يستتب بعد ، خاصة وان منصب الخلافة كان شاغرا ما يقرب من ثلاث سنوات ونصف من أول سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وهو تاريخ سقوط الخلافة في بغداد على يد التتار إلى رجب من سنة ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) والتي قلد فيها الخليفة المستنصر وجيه الدين وابن أخيه أمر مصالح الحرم والذي يبدو أن الخليفة الجديد المستنصر أراد أن يظهر شعار خلافته في مكة المكرمة كما ذكر ذلك الفاسي[3] وذلك ليفوت على غيره أمر السيطرة والسيادة على الحرمين ، ففي فترة غياب اسم الخلافة العباسية عن العالم الإسلامي تسابق الحفصيون والرسوليون للحصول من الإشراف على الإعتراف بسيادتهم على الحرمين فاعترف شريف مكة بخلافة ابي عبد الله محمد المنتصر الحفصي[4] ـ حاكم تونس ـ بعدما أعلن نفسه خليفة سنة ٦٥٧ هـ(١٢٥٩م) أي في السنة التالية لسقوط الخلافة في بغداد[5] واما سلطان بني رسول يوسف بن عمر فقد توجه في سنة ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) الى مكة وعلق بيده الكسوة التي حملها معه

---

١ ـ انظر البحث ص ١٤٧ ، ١٤٨
٢ ـ البداية والنهاية ١٣ : ٢٣٣ السلوك ١٢ : ٤٦٧ ، النظم الاسلامية وحسن ابراهيم حسن ، وعلي ابراهيم حسن ١١٧
٣ ـ العقد الثمين ٥ : ٣٨٣
٤ ـ ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجري د/احمد السيد دارج ١٩٨
٥ ـ مورتيل ٥٣

على الكعبة[1] وكان في سنة ٦٥٧هـ (١٢٥٨) أي بعد سقوط الخلافة بعام واحد قد تولى أمر الحرم وعمارته واقامة منارة وجوامك خدمته[2] فالخليفة العباسي المستنصر خشي أن يزاحمه غيره في أمر الحرمين فاصدر ذلك التقليد بما فيه من الالتزامات على صاحب هذه الوظيفة ، كأمر الخطبة والسكة والمحمل وعلم الدولة على جبل عرفة وغير ذلك مما ورد في التقليد حتى لا يتكرر ذلك الصراع الذي كان قائماً بين الفاطمينن والعباسيين من أجل السيطرة على العالم الاسلامي باسم الحجاز حيث المقدسات الإسلامية[3] .

وبعد وفاة منصور بن منعة ولي أمر الوظيفة بعده ابن أخيه محمد بن عبد الله الطائي ابن منعة ، والذي جاء في العقد الثمين[4] ضمن ترجمة أبي عبد الله بن منعة « وكان عمه شيخ الحرم ، وله مكانة كبيرة من جهة الخلافة ، فلما مات استمر شيخنا هذا بها على وظيفة عمه إلى أن توفي بالمهجم من بلاد اليمن في رمضان سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م) وهذا يعني أن الآخر وليها من غير تقليد ، أما وراثة أو سداً لعمل عمه . وفي كتب التاريخ نصوص تبين أن هناك آخرين ولوا أمر هذه الوظيفة في فترة مشيخة أبي عبد الله ابن منعة ـ وهي الممتدة من وفاة عمه سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٥م) إلى وفاته هو في سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م) فذكر ابن فهد[5] ضمن أحداث سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) أنه « فيها كان شيخ الحرم رضي الدين موسى بن حسن بن موسى بن عبد الرحمن بن علي بن الحسين الشيباني » وترجم له التقي الفاسي في عقده[6] فقال : « شيخ حرم الله تعالى رضي الدين موسى . . . . ولم أعرف وقت وفاة رضي الدين موسى هذا . . . . وكان حياً في صفر سنة ست

---

١ ـ المرجع السابق ١٩٨ ، ٤٦٦:٢١ ، اتحاف الورى ٣:٨٤

٢ ـ العقد الثمين ٧: ٤٨٩ ، اتحاف الورى ٣ : ٨١ ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدول الرسولية /علي الخزرجي ١:١٢٨

٣ ـ ايضاحات ١٩٥

٤ ـ العقد الثمين ٢ : ٧٥ ، ٧٦ ، ترجمة رقم ٢٢٨

٥ ـ اتحاف الورى ٣:١١٨

٦ ـ العقد الثمين ٧:٢٩٧ ترجم رقم ٢٥٤٠

وثمانين وستمائة بمكة ، وفيها سمع منه النجم محمد بن عبد الحميد ، وترجمه بشيخ الحرم وترجمه بذلك غيره ».

وعلى هذا فرضي الدين قد ولي أمر النظر في شئون الحرم خلال فترة محمد بن منعة .

وشخصية أخرى جاء ذكرها في هذه الفترة ، فذكر المقريزي في سلوكه[1] ضمن وفيات سنة ٧٠٧هـ وفاة أبي عبد الله بن مطرف الأندلسي وقال عنه : ومات بمكة في رمضان . . . وقد جاور بها ستين سنة ، وصار شيخ الحرم ، وذكره التقي الفاسي[2] بابن مطرف الأشبيلي نزيل مكة وشيخها وذكر وفاته في سنة ٧٠٦هـ (١٣٠٦م) وكذلك ذكره ابن فهد في الاتحاف[3] ضمن وفيات سنة ٧٠٦هـ ولكنه لم يذكر شيئاً عن مشيخته للحرم ، وذكره ابن العماد في الشذرات[4] ولم يذكر شيئاً أيضاً من مشيخته للحرم ولكنه اتفق مع المقريزي في كون وفاته في سنة ٧٠٧هـ (١٣٠٧م) فعلى ذكر المقريزي والفاسي لهذا فقد يكون ابن مطرف أيضاً ولي مشيخة الحرم في خلال الفترة التي وليها أبو عبد الله محمد بن منعة ، فأما أنه اشترك مع كل منهما على حدة أو أن ابن منعة عزل في فترات متقطعة فولي في فترات عزله رضي الدين وابن مطرف .

وبعد وفاة أبي عبد الله بن منعة في سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) لم أقف على خبر من تقلد أمر هذه الوظيفة من بعده حتى سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٧ م) حيث جاء في ترجمة ضياء الدين أبي الغنائم محمد بن عبد الله الحموي الشافعي[5] أنه ولي خطابة الحرم سنة تسع وخمسين وسبعمائة وجاءه بذلك توقيع من صاحب مصر . . . وولي مع ذلك المشاركة في نظر الحرم ومشيخته .

في هذا النص نقف على أول ورود للفظ ناظر الحرم يخلع على صاحب هذه الوظيفة ولو أنه جاء مضافاً اليه لفظ المشيخة المتعارف عليه سابقاً ـ أي من قبل

---

١ ـ السلوك ٤٢:١/٢ ، العبر ١٦:٤
٢ ـ العقد الثمين ٤٥٢:١ ترجمة رقم ١٣٨
٣ ـ اتحاف الورى ١٤٤:٣
٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ابن العماد ١٦:٦
٥ ـ العقد الثمين ٢ : ٨٦ ـ ٨٨ برقم ٢٣٥

العصر المملوكي ـ ومن هذا النص أيضاً نستوضح أن الشيخ الحموي قلد أمر هذه الوظيفة في سنة ٧٥٩هـ (١٣٥٧م) ولكن هناك نصاً آخر في اتحاف الورى[١] ضمن أحداث سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧م) التي ذكر فيها خبر السيل المعروف بسيل القناديل[٢] والذي دخل الحرم فجاء بعد ذكر دخول السيل المسجد الحرام « ودخل المسجد الحرام قاضي مكة شهاب الدين الطبري ومعه الضياء الحموي الشافعي وبنو شيبة . . . وجماعة من الفراشين ، وأمر باخراج الرباع والمصاحف فاخرجها العوام ، ثم بعد صلاة الفجر اجتمع القاضي شهاب الدين الطبري والضياء الحموي وبنو شيبة . . . وغيرهم من الأعيان . . ودخلوا البيت العتيق وغسلوه بماء المطر . . . » وغير ذلك من أعمال التنظيف للمسجد والكعبة معاً .

فمن هذا نستدل على أن الضياء الحموي كان يتولى أمر النظر في مصالح المسجد الحرام وإلا فبأي حق كان له هذا التقدم مع القاضي والحجبة ، كما أن هذا لا يخالف ما جاء في ترجمته من أنه ولي المشاركة في نظر الحرم ومشيخته في سنة ٧٥٩هـ (١٣٥٧م) فقد يكون متوليها في هذه الفترة فترة السيل أي سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧م)، ثم عزل بآخر ، ثم في سنة ٧٥٩هـ (١٣٥٧م) جاءته الولاية بالمشاركة ـ وعلى أي حال فهذه الفترة أي خلال القرن الثامن الهجري كان أمر الحجاز لايزال مضطرباً ولم تستقر فيه السلطة المملوكية كما ينبغي أن يكون .

ففي هذه الفترة كان الخلاف قائماً على أمر الحجاز بين سلاطين مصر وسلاطين اليمن هذا من جهة ، ومن جهة ثانية بين سلاطين مصر واشراف الحجاز ، أو بين اشراف الحجاز مع بعضهم البعض من جهة ثالثة ، وأن المتتبع لتاريخ هذه الفترة ليلمس ذلك واضحاً . ولست هنا بصدد ذكر الخلافات المستمرة بين مراكز القوة المختلفة هذه ، فلم يستتب أمر الحجاز ـ تقريباً ـ إلا بأمرة الشريف حسن بن عجلان في شهر صفر من سنة ٧٩٧هـ (١٣٩٤م) وفي عهد السلطان فرج بن

١ ـ اتحاف الورى ٣:٢١٣ ـ ٢١٤
٢ ـ انظرِ أخبار هذا السيل في أخبار مكة للازرقي ـ ملحق السيول ٣١٦

برقوق[1] حيث بدأ حسن بن عجلان يسعى في استرضاء السلطنة المملوكية في مصر وذلك لمزيد من التأييد المملوكي له لاحلال الإستقرار محل الاضطراب ـ.

فالضياء الحموي الشافعي ظل مشاركاً لشريك مجهول لم يصرح باسمه في النص ، ولم أقف على أن هناك من تولى نظر الحرم في هذه الفترة التي كان متوليها الضياء الحموي ولعل المقصود بالمشاركة هنا المباشرة بأمر الوظيفتين الخطابة والنظر معاً . ومنها بدأت هذه الوظيفة تجمع مع بقية الوظائف الدينية الخاصة بالحرم كالخطابة والامامة والحسبة فاما أن تسند إلى شخص واحد وهو القاضي الشافعي أو بعضها ، وتضاف بقية هذه الوظائف إلى الخطيب ولابد أن يكون شافعياً ومن ابن الضياء الحموي بدأ لفظ الناظر يضاف إلى متولي أمر المسجد الحرام كما سبق أن ذكرت[4] .

وفي حقيقة الأمر إن مذهب الشافعية كان هو المذهب المقدم والمنتشر في مكة المكرمة ، والذي كان عليه القضاء حتى أوائل القرن التاسع الهجري عندما استقر في مكة المكرمة تعدد القضاة وفقاً للمذاهب الأربعة ، وهذا ما ساعد على انتشار مذهب الشافعي في مكة المكرمة ، وحتى لما كانت بدعة تعدد الائمة في المسجد الحرام كان الشافعي هو المقدم على بقية الائمة والذي قدمه عليهم هو الخليفة العباسي نفسه ، وكان الشافعي أول من يصلي في المسجد الحرام[5] هذا إلى جانب أن وظيفة خطيب المسجد الحرام وكبير ائمته كانت للشافعية[6] وفي رؤيته الأهلة كان الشافعي هو المقدم لهذه المهمة[7] .

---

١ ـ العقد الثمين ٤ : ٨٧ ، ٨٨ ، اتحاف الورى ٣ : ٣٩٥ ، السلوك ٣/٢ : ٨٤١ مورتيل ١١٩-١٢٠

٢ ـ مورتيل ١١٩-١٢١

٣ ـ العقد الثمين ٢ : ٨٨

٤ ـ انظر البحث ص ١٥٥ .

٥ ـ الحجاز واليمن في العصر الايوبي/جميل حرب محمود حسين : ٦٣

٦ ـ المرجع السابق ، ١٦٣ رحلة ابن جبير ٨٥

٧ ـ بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى / عبد العزيز بن عمر بن فهد مخطوط لوحة ١٨٠

وحتى القضاء كان منحصراً في الشافعية حتى مطلع القرن التاسع الهجري كما سبق ذكره فلم يعين قضاة مستقلون بالمذاهب الأخرى قبل سنة ٨٠٦هـ (١٤٠٣م) حيث استقل القاضي شهاب الدين أحمد بن الضياء الصاغاني الحنفي بقضاء الحنفية بولاية من الناصر فرج صاحب مصر[١] في سنة ٨٠٦هـ (١٤٠٣م) فلا غرابة في ذلك فالمماليك يأخذون بمذهب ابي حنيفة .

ثم في سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤م) استقل تقي الدين الفاسي بقضاء المالكية ولم يستقل به قبله[٢] وفي سنة ٨٠٩هـ (١٤٠٦م) عين عبد اللطيف بن محمد الفاسي لقضاء الحنابلة فكان أول حنبلي ولي قضاء مكة[٣] .

وبعد عزل الضياء الحموي الشافعي سنة ٧٦١هـ (١٣٥٩م) ولي نظر الحرم قاضي مكة التقي الحرازي[٤] وهو أول قاضي تستند اليه وظيفة نظر الحرم .

وإن لم يكن هناك تقليد صريح بتولي التقي الحرازي أمر النظر في الحرم في هذا التاريخ إلا أننا نلمس ذلك من النصوص التي في ترجمة الضياء الحموي نفسه فقد جاء في ترجمة الحموي « وولي مع ذلك ـ أي الخطابة ـ المشاركة في نظر الحرم ومشيخته واستمر مباشراً لذلك حتى وصلت الرجبية في احدى وستين ، فصرف عن ذلك بالتقي الحرازي قاضي مكة ، واستمر مصروفاً ، حتى مات شهيداً مبطوناً[٥] » .

فنخلص من النص بأنه صرف عن كل وظائفه بالتقي الحرازي ، وان كنت لا اجد في ترجمة التقي الحرازي النص على توليته نظر الحرم ، إذ نجد : ثم ولي ـ مع القضاء بعد ذلك ـ : خطابة الحرم لما صرف عنها الضياء الحموي في سنة احدى وستين وسبعمائة[٦] » فالذي في ترجمة الحرازي انه ولي الخطابة فقط بعد

١ ـ اتحاف الورى ٣ : ٤٣٧ ، العقد الثمين ٣ :١٧ ، الضوء اللامع ٢ :١٧٩
٢ ـ اتحاف الورى ٣ :٤٤٢ ، العقد الثمين ١ :٣٣٨ ، الضوء اللامع ٧ :١٩
٣ ـ الضوء اللامع ٤ :٣٣٣
٤ ـ العقد الثمين ١ :٣٦٧ برقم ٤٤ ، ١ :٨٨ ٣٤
٥ ـ المصدر السابق ١ :٣٦٧
٦ ـ اتحاف الورى ٣ :٢٨٦

الحموي ولكن الذي في ترجمة الحموي أنه صرف عن كل وظائفه بالتقي الحرازي وظل الحرازي متولياً قضاء مكة ـ الشافعي ـ وخطابة المسجد الحرام ونظره حتى صرف في شعبان سنة ٧٦٣هـ (١٣٦م) ومن عهد التقي الحرازي أصبحت وظيفة ناظر الحرم تقلد للقضاة . غالباً

وبعد الحرازي ولي نظر الحرم محمد بن أحمد بن عبد العزيز كمال الدين أبو الفضل النويري الشافعي الذي ولي قضاء مكة وخطابة الحرم ونظره[1] .

وفي ولاية كمال الدين النويري بدأ لفظ ناظر الحرم يأخذ استقلاله واصبح مصطلحاً خاصاً بمتولي أمر النظر في شئون الحرم ، وأوضح التقي الفاسي ذلك بقوله : وكان يعبر عن نظره فيما مضى بمشيخة الحرم[2] . وظل كمال الدين النويري متولياً نظر الحرم حتى وفاته في رجب ٧٨٦هـ (١٣٨٤م)[3] وفي شعبان من نفس السنة ولي نظر الحرم شهاب الدين احمد بن ظهيره بن أحمد بن عطية بن ظهيره ووصل التقليد بذلك في أول ذي القعدة[4] .

وظل شهاب الدين ابن ظهيرة الى جمادى الاولى من سنة ٧٨٨هـ (١٣٨٦م) فعزل بابي البركات محب الدين احمد بن محمد بن احمد النويري قاضي مكة الشافعي ، ووصل العلم بذلك الى مكة في اوائل شعبان من السنة نفسها ، وكان محب الدين الناظر الجديد بالمدينة فقد كان متولياً قضاء الحرمين معاً[5] وظل محب الدين النويري متوليها حتى وفاته في رجب سنة ٧٩٩هـ (١٣٩٦م)[6] وفيها في ثامن عشر شوال وصل عهد من سلطان مصر بتولية وظائفه الى ابنه عز الدين ابي المفاخر محمد بن احمد النويري قاضي مكة الشافعي ومنها وظيفة ناظر الحرم[7]

---

١ ـ العقد الثمين ١ : ٣٠٠ ترجمة رقم ٢٩
٢ ـ المصدر السابق ١ : ٣٠١ ، انظر البحث ص **١٤٧**
٣ ـ المصدر السابق ١ : ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، اتحاف الورى ٣ : ٣٤٥ ، السلوك ٣/٢ : ٥٢٧
٤ ـ العقد الثمين ٣ : ٥٢ برقم ٥٦٢ ، اتحاف الورى ٣ : ٣٤٥ السلوك ٣/٢ : ٥٢٢
٥ ـ العقد الثمين ٣ : ١٢٣ برقم ٦١٧ ، اتحاف الورى ٣ : ٣٥٨ ، ٣٥٩
٦ ـ المصدر السابق ٣ : ١٢٥ ، اتحاف الورى ٣ : ٤٠٦
٧ ـ المصدر السابق ١ : ٣١٧ برقم ٤٧ ، اتحاف الورى ٣ : ٤٠٦

واستمر عز الدين النويري مباشراً وظيفة ناظر الحرم والوظائف الاخرى من هذا التاريخ الى وفاته في ربيع الاول سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م) عزل خلالها ست مرات بجمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة قاضي مكة الشافعي[1] وهي كالتالي :

الاولـــى : كانت في سنة ٨٠٣هـ (١٤٠٠م) وكانت اياماً قليلة ، وذلك في وقت سفر الحاج وكان سبب عزله ان تحامل عليه امير الحاج المصري ، وذكر ان السلطان فوض اليه عزله فعزله وولى جمال الدين بن ظهيرة الشافعي بالمشافهة . ثم اعيد ووصل العهد بولايته .

الثانيــة : كانت في موسم سنة ٨٠٦هـ (١٤٠٣م) وباشر القاضي جمال الدين بن ظهيرة الشافعي الوظائف التي كانت في يد عز الدين ، وسافر عز الدين الى المدينة ، ثم اعيد ووصل عهد بولايته لوظائفه في ربيع الاول او الثاني من سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤م) .

الثالثــة : كان قد وصل مع العهد للقاضي عز الدين الذي وصل في احد الربيعين من سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤م) كتاباً من السلطان بان ان يجتمع الناس ويستقر من يختارونه من الرجلين ، فتحامل العوام على القاضي عز الدين لعلمهم ان امير البلد لا يرغب فيه فباشر جمال الدين واستمر جمال الدين حتى موسم السنة نفسها اي سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤م) جاء توقيع للقاضي عز الدين بعودته للولاية .

الرابعـة : كانت في ليلة الثاني من ربيع الثاني سنة ٨١٠هـ (١٤٠٧م) حيث وصل الى القاضي جمال الدين عهد وتشريف بولايته للوظائف واستمر الى النصف الثاني من شعبان وفي آخر الشهر المذكور : وصل عهد للقاضي عز الدين وتشريف بولايته للوظائف .

الخامسة : كانت في اثناء العشر الاوسط من شعبان من سنة ٨١٢هـ (١٤٠٩م) حيث وصل توقيع وخلعة للقاضي جمال الدين بولايته للوظائف فباشر الى العشرين من ربيع الثاني سنة ٨١٣هـ (١٤١٠م) وفي هذا التاريخ وصل للقاضي توقيع وخلعة بولايته للوظائف .

١ ـ المصدر السابق ١ :٣٧١ برقم ٤٧، ٢ :٥٣ برقم ٢١٣

السادسة : كانت في اوائل ذي الحجة سنة ٨١٣هـ (١٤١٠م) حيث وصل للقاضي جمال الدين عهد بولايته للوظائف واستمر الى الرابع عشر من شوال سنة ٨١٦هـ (١٤١٣م) حيث اعيد القاضي عز الدين بعهد ينص فيه بولايته للخطابة والنظر والحسبة بمكة .

وكان آخر عودة لمباشرة النظر في الحرم[١] في ربيع الآخر سنة ٨١٦هـ (١٤١٣م) والى ان عرض له من المرضى ما منعه من المباشرة في ذي القعدة سنة ٨١٩هـ (١٤١٦م) فباشر ذلك نوابه ـ ومن هذا يتضح لنا ان للناظر نواباً وكما سيأتي في فترة ولاية القاضي برهان الدين بن ظهيرة[٢] حتى ذي الحجة سنة ٨١٩هـ (١٤١٦م) وصل تقليد لابي البركات محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة قاضي مكة الشافعي[٣] ولكن لم يصل الخبر بولاية أبي البركات الا بعد وفاته فلم يباشر ابو البركات فقد ادركته المنية فاستمرت مباشرة نائب عز الدين النويري[٤] ثم وصل للقاضي ابي السعادات بن ظهيرة توقيع بخطابة المسجد الحرام ونظره وتوقيع آخر لعز الدين ايضاً بالوظائف المذكورة مع الحسبة ، وكان وصولهما الى مكة المكرمة معاً في يوم واحد ، واتفق ان القاضي عز الدين قد توفي قبل وصول توقيعه[٥] فعورض ابا السعادات من المباشرة من قبل الامير تغرى برمش التركماني وان يكون اخوه ابو الفضل ـ اي اخو عز الدين ـ نائباً عنه فيها مجاملة من تغرى برمش للقاضي عز الدين النويري لمعروف عليه من قبل والده محب الدين النويري[٦] .

---

١ ـ هذه كلها فيما يخص وظيفة النظر ولكنه عزل اكثر من هذا بجمال الدين ايضاً ولكنه فيما يخص الخطابة ولم ارى مجالاً لذكر العزل عن الخطابة
٢ ـ انظر البحث ص ١٥٠ ضمن تقليد الخليفة العباسي لوجيه الدين وأخيه شرف الدين ، وانظر ايضاً ص١٦٤، ١٦٨ وذلك كله فيما يخص النيابة عن الناظر
٣ ـ العقد الثمين ٢ : ٢٨٧ برقم ٣٩٥
٤ ـ المصدر السابق ١ : ٣٧٥ اتحاف الورى ٣ : ٥٣٧
٥ ـ المصدر السابق ٣ : ٣٩٠/٣٩١ اتحاف الورى ٣ : ٥٤٩
٦ ـ المصدر السابق ٣ : ٣٩٠

وظلت وظيفة ناظر الحرم شاغرة حتى وصل توقيع من مصر بذلك للقاضي محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة جلال الدين أبو السعادات قاضي مكة الشافعي مؤرخ في شوال سنة ٨٢٢ هـ (٤١٩ م)[١] فباشر ذلك إلى أول ذي الحجة من السنة نفسها .

فصرف بابي الفضل محمد بن احمد بن محمد كمال الدين النويري قاضي مكة الشافعي[٢] ثم أعيد ابا السعادات ، ثم صرف بابي الفضل ايضاً ، ثم اشركا معاً في احد الجمادين من سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) وظلا الى شعبان ، ثم قرر السيد حسن بن عجلان امير مكة تركهما المباشرة عن الخطابة والامامة والنظر وقرر السيد حسن عبد الهادي بن ابي اليمن الطبري لمباشرة الخطابة والامامة دون النظر ، وذلك في آخر ذي القعدة من السنة نفسها فوصل بعد ذلك توقيع من صاحب مصر لابي الفضل النويري بمفرده للوظائف الثلاثة بما فيها النظر[٣] وظل ابو الفضل النويري يباشر النظر في شئون المسجد الحرام حتى وفاته سنة ٨٢٧هـ (١٤٢٣م)[٤] وبعد وفات ابي الفضل دخل ابو السعادات القاهرة فولي الوظائف الثلاثة معاً ، ثم علم وهو بالقاهرة بوفاة المحب بن ظهيرة قاضي مكة الشافعي فطالب بالقضاء مع الخطابة والامامة والنظر فلم يلب طلبه وخير فاختار القضاء[٥] .

وبعد وفاة ابي الفضل النويري وليها قاضي مكة الحنفي وهو محمد بن احمد بن محمد بن الضياء الصاغاني الحنفي ، اي في سنة ٨٢٧هـ (١٤٢٣م) وبتولي ابن الضياء الحنفي وظيفة ناظر الحرم خرجت هذه الوظيفة ولاول مرة في العصر المملوكي من يد الشافعية الى يد قاضي حنفي وظلت بيد ابن الضياء الحنفي حتى

---

١ ـ الضوء اللامع ٩ : ٢١٤ برقم ٥٢٧ اتحاف الورى ٣ : ٥٦٧ـ٥٦٨
٢ ـ العقد الثمين ١ : ٣٧٦ برقم ٤٨ ، الضوء اللامع ٩ : ٢١٤ ، اتحاف الورى ٣ : ٥٦٨
٣ ـ الضوء اللامع ٩ : ٢١٤ ، اتحاف الورى ٣ : ٥٨٢ـ٥٨٣
٤ ـ المصدر السابق ٧ : ٤٥ برقم ٩٤ ، العقد الثمين ١ : ٣٧٦ برقم ٤٨ ، اتحاف الورى ٣ : ٦١٠
٥ ـ الضوء اللامع ٩ : ٢١٤

شعبان من سنة ٨٣٠هـ[1] (١٤٢٦م) حيث اعيدت في رمضان لقاضي مكة الشافعي جلال الدين ابي السعادات ـ السابق مع الخطابة والحسبة ـ ولكنه عزل عن القضاء والنظر في نفس السنة بجمال الدين محمد بن علي الشيبي شيخ السدنة قاضي مكة الشافعي وذلك بتولية من الاشرف برسباي صاحب مصر ، وذلك عندما كان جمال الدين الشيبي في القاهرة فولاه الأشرف وظيفة قضاء الشافعية عوضاً عن ابي السعادات ، ثم اضيف اليه النظر في المسجد الحرام[2] وظل الجمال الشيبي حتى وفاته سنة ٨٣٧هـ (١٤٣٣م) متولياً امر النظر في المسجد الحرام[3] .

وبعد وفاة الجمال الشيبي اعيد اليها ايضاً جلال الدين ابو السعادات بن ظهيرة في ثامن عشر جمادى الآخر من نفس السنة ، ثم عزل عن النظر فقط[4] بداود بن علي الكيلاني ببذل مال[5] للسلطان فلما قريء توقيعه بالمسجد الحرام انكر صاحب مكة السيد بركات بن حسن بن عجلان ـ واهل مكة ذلك ومنع السيد بركات داود من التحدث واقام عوضه الامير سودون المحمدي[6] شاد العمائر بالمسحد الحرام متحدثاً في النظر حتى يرد ما يعتمد عليه .

وكاتب السلطان بان الفقراء وغيرهم من اهل الحرم لم يرضوا بولاية داود ، فكتب لسودون بالتحدث في نظر الحرم ، فوصله ذلك في اول السنة الاتية بعد هذه في سنة ٨٢٨هـ (١٤٣٤م) فباشر ذلك ولم يعهد ذلك فيما مضي[7] . وبداود

١ ـ الضوء اللامع ٧ : ٨٤ برقم ١٧٢ ، معجم شيوخ ابن فهد نجم الدين عمر بن فهد ٢١٣ ، اتحاف الورى ٣ : ٦٠٩ ، التبر المسبوك في ذيل السلوك شمس الدين السخاوي ٣٣٤ ، الدر الكمين بذيل العقد الثمين ، نجم ابن عمر بن فهد مخطوط .
٢ ـ اتحاف الورى ٣ : ٦٣٨ الدر الكمين
٣ ـ الدر الكمين ، اتحاف الورى ٤ : ٧٣ السلوك ٤/٢ : ٩٢٢ ، النجوم الزاهرة ١٥ : ١٨٦
٤ ـ الدر الكمين ، اتحاف الورى ٤ : ٧٣
٥ ـ اي رشوة دفعها للسلطان الاشرف برسباي والبذل هنا مصطلح من مصطلحات العصر المملوكي
٦ ـ الضوء اللامع ٣ : ١٠٨٥ برقم ١٠٨٤
٧ ـ اتحاف الورى ٤ : ٧٣ـ٨٤ ، الدر الكمين (ضمن ترجمة داود الكيلاني) السلوك ٤/٢ : ٩٣٠ الضوء اللامع ٣ : ٢١٤ برقم ٨٠٠

الكيلاني او سودون خرجت هذه الوظيفة ولاول مرة في العصر المملوكي من يد قضاة مكة الشافعية ـ اذااستثنينا فترة قاضي الحنفية ابن الضياء[1] ـ وعلى اي حال فهي لم تخرج عن قضاة مكة واهلها ولم يألف اهل الحرم هذا الامر ، ولذلك انكر شريف مكة ذلك التصرف من السلطان ، ولم يقف هذا الانكار على اهل مكة واميرهم بل تعداه الى التقي المقريزي مؤرخ مصر في تلك الفترة حيث علق على هذا الامر فقال : « وكانت العادة التي ادركناها ان الحرم يلي نظره قاضي مكة الشافعي ، فبذل بعض التجار الاعاجم ـ المجاورين بمكة ـ وهو داود الكيلاني للسلطان حتى ولاه نظر الحرم[2] »

وظل سودون المحمدي على امر النظر في الحرم حتى ربيع الآخر من سنة ٨٣٩هـ (١٤٣٥م) حين خلع على ولي الدين ابي اليمن محمد بن تقي الدين قاسم الشيشني المحلي مضحك السلطان ونديمة وجليسه ليستقر في نظر الحرم الشريف بمكة[3] وقريء توقيعه الخميس الخامس من شعبان من نفس السنة باستقراره في نظر المسجد الحرام وعمارته[4] وذلك بتقليد من الاشرف برسباي[5] ويعلق التقي المقريزي المؤرخ المصري على ذلك بقوله « فكانت ولاية ابن قاسم هذا حدثاً من الاحداث وبلية تساق الى اهل الحرمين[6] » وذلك لكون ابن قاسم قد جمع له مع نظر الحرم مشيخة الخدام والطواشيه بالمسجد النبوي[7] ولم تعطنا المصادر تاريخ نهاية ولاية ابن قاسم لنظر الحرم ولكن جاء في الضؤ اللامع[8] ضمن ترجمة ابن قاسم جاء فيه « وظل محمد بن قاسم حتى سلطنة الظاهر جقمق فامر باحضاره الى القاهرة ».

---

١ ـ انظر البحث ص ١٥٩ .
٢ ـ السلوك ٤/٢ : ٩٣٠
٣ ـ السلوك ٤/٢ : ٩٦١ ، الضؤ اللامع ٨ : ٢٨١ برقم ٧٧٧
٤ ـ اتحاف الورى ٤ : ٩٣
٥ ـ الضوء اللامع ٨ : ٢٨٢/ ٢٧١
٦ ـ السلوك ٤/٢ : ٩٦١
٧ ـ المصدر السابق ٤/٢ : ٩٦١
٨ ـ الضوء اللامع ٨ : ٢٨٢

والظاهر جقمق ولي امر السلطنة في مصر يوم الاربعاء التاسع عشر من ربيع الاول من سنة ٨٤٢هـ[١] (١٤٣٨م) والذي في السلوك[٢] ان السلطان ـ الظاهر جقمق ـ انعم على سودون المحمدي بثلاث الآف دينار ، وولاه نظر الحرم بمكة عوضاً عن ولي الدين محمد بن قاسم وذلك في جمادى الآخرة من السنة نفسها وفي صبح يوم الاحد السادس عشر من شعبان وصل الامير سودون المحمدي الى مكة .

وقرىء توقيعه في يوم الثلاثاء ويتضمن التوقيع انه ناظر الحرمين الشريفين ومشد العمائر بهما ، وامير الترك ، وكان صحبته خمسون مملوكاً[٣] وبسودون هذا اضيفت لاول مرة وظيفة الناظر بالمسجد الحرام الى مشد العمائر الى جانب عمله العسكري كامير للجند وكان يعبر عنهم بالترك الراكزين وظل سودون المحمدي الى سنة ٨٤٦هـ (١٤٤٢م) وفيها في ليلة الجمعة سابع عشر شعبان وصلت الرجبية ـ من مصر ـ وصحبتها الامير تنم المحمدي وفي اليوم الثاني قرىء توقيعه بنظر الحرم الشريف مؤرخ في ثاني رجب وقرىء له توقيع آخر بشد العمائر مؤرخ بثاني عشر جمادي الآخرة[٤] وظل حتى سنة ٨٤٧هـ (١٤٤٣م) .

وفيها في ذي القعدة ولي محمد بن محمد بن علي بن احمد النويري ابو اليمن قاضي مكة الشافعي[٥] وعادت الوظيفة الى قضاة الشافعية كما كانت ولكنها لم تستمر اذ عزل ابو اليمن في ربيع الآخر سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) بالخواجا بدر الدين الطاهر[٦] ولم يستمر بدر الدين هذا طويلاً اذ عين عوضه يبرم خجا في آخر السنة نفسها ناظراً ومحتسباً لمكة معاً[٧] وظل حتى سنة ٨٥٤هـ وفيها في شعبان

١ ـ السلوك ٤/٣ : ١٠٨٦ ، النجوم الزاهرة ١٥ : ٢٥٧ ، اتحاف الورى ٤ : ١٢٦
٢ ـ السلوك ٤/٣ : ١١١١
٣ ـ اتحاف الورى ٤ : ١٢٨ـ١٢٩
٤ ـ المصدر السابق ٤ : ١٨٤
٥ ـ الضوء اللامع ٩ : ١٤٣ برقم ٣٦٠ اتحاف الورى ٤ : ٢٢٢ ، والدر الكمين
٦ ـ الدر الكمين ، اتحاف الورى ٤ : ٢٥٦
٧ ـ الضوء اللامع ٣ : ٢٢ برقم ١٠٨ ، اتحاف الورى ٤ : ٢٦٠ـ٢٦١

قريء توقيع برديك التاجي[1] في المسجد الحرام لنظر الحرم والحسبة والربط والأوقاف والصدقات وان يحاسب من ولي شيئاً من ذلك قبله[2] وهذا امر لم يعهد في فترة تولي هذه الوظيفة من قبل قضاة او خطباء الشافعية وانما ظهر في الفترة التي اصبح يتولى هذه الوظيفة وغيرها من امراء الترك ، كما قريء توقيع آخر بتولي برديك هذا على بعض الميضأة بمكة المكرمة[3] كما جاء في ترجمته في الضؤ اللامع انه ولي مع النظر وظيفة شاد العمائر[4] وظل برديك التاجي حتى شعبان من سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) حيث سافر الى القاهرة وظلت الوظيفة شاغرة حتى الحج من نفس السنة .

وفيها قدم ضوغات شيخ الاحمدي[5] متولياً وظيفة ناظر الحرم ومحتسباً بمكة[6] وظل حتى عزل في آخر سنة ٨٥٩هـ (١٤٥٤م) بالخطيب برهان الدين بن ظهيرة الشافعي[7] .

وفي يوم الخميس اول ذي الحجة من السنة نفسها قريء مرسوم الخطيب برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة[8] بولاية نظر المسجد الحرام عوضاً عن ضوغان شيخ وهو مؤرخ في شوال[9] .

وببرهان الدين بن ظهيرة عادت الوظيفة الى اصحاب الشافعية بمكة وظل برهان الدين بن ظهيرة على وظيفة النظر حتى عزل عنها في اوائل

---

١ ـ الضؤ اللامع ٣ : ٦ برقم ٢٣ ، اتحاف الورى ٤ : ٢٩٧
٢ ـ اتحاف الورى ٤ : ٢٩٧
٣ ـ المصدر السابق ٤ : ٢٩٧
٤ ـ الضوء اللامع ٤ : ١٠ برقم ٣٧
٥ ـ المصدر السابق ٤ : ١٠ برقم ٣٧
٦ ـ اتحاف الورى ٤ : ٣٣٢
٧ ـ المصدر السابق ٤ : ٣٥٠
٨ ـ اتحاف الورى ٤ : ٢٥
٩ ـ الدر الكمين ، الضوء اللامع ١ : ٨٨

سنة ٨٧٦هـ (١٤٧١م) بابن عمه المحب بن ظهيرة[١] . ووصل مرسوم في ربيع الاول من السنة نفسها بولاية محب الدين احمد بن محمد بن محمد بن ظهيرة[٢] ـ النظر الحرم ونظر الايتام والربط وقضاء جدة[٣] .

وفي موسم سنة٨٧٧هـ (١٤٧٢م) طلب الاشرف قايتباي سلطان مصر القاضي برهان الدين بن ظهيرة للحضور بالديار المصرية فخرج صحبة السيد بركات بن محمد بن بركات ابن صاحب الحجاز ووصلوا مصر في عشر المحرم سنة ٨٧٨هـ (١٤٧٣م)[٤] فاستقبله السلطان هو وابن صاحب مكة استقبالاً له من العظمة والاحترام ما لم يسمع بمثله[٥] ، وفيها اعيد برهان الدين بن ظهيرة الى نظر المسجد الحرام وقضاء الشافعية ووصل القاصد من مصر ومعه المراسيم المتضمنة ذلك في ربيع الاول من سنة ٨٧٨هـ (١٤٧٣م) وظل البرهان بن ظهيرة في مصر واناب عنه في ادارة وظائفه ابن عمه جمال الدين ابن ظهيرة . الى موسم السنة نفسها ، ثم عاد الى مكة وظل متولياً امر هذه الوظيفة مع القضاء حتى وفاته في ذي القعدة سنة ٨٩١هـ (١٤٨٦م)[٦] وولي بعده ابنه محمد بن ابراهيم بن علي بن ظهيرة جمال الدين ابو السعود[٧] وكانت ولايته بناء على كتابة محضر ارسله شريف مكة السيد محمد بن بركات الى السلطان يطلب فيه ان تكون وظائف برهان الدين لابنه وانه أهل لذلك : وكتب هو أيضاً كتاباً بخطه[٨] .

---

١ ـ الضوء اللامع ١ : ٩٥ ، اتحاف الورى ٤ : ٥٣١ـ٥٣٢ ، ٥٣٨ وانظر فيه سبب عزله عن القضاء والنظر وهو خلاف قام بينه وبين ابن الزمن الذي كان مشرفاً على العمائر المكية الضوء اللامع ٨ : ٢٦١

٢ ـ المصدر السابق ٢ : ١٩٠ برقم ٥٢٣ ، الدر الكمين

٣ ـ اتحاف الورى ٤ : ٥٣٨ـ٥٣٩

٤ ـ الضوء اللامع ١ : ٩٥

٥ ـ اتحاف الورى ٤ : ٨٧٨

٦ ـ الضوء اللامع ١ : ٦٨ ، بلوغ القرى ، مخطوط ورقه ٣٣

٧ ـ المصدر السابق ٦ : ٢٦٤ برقم ٩٠٤

٨ ـ بلوغ القرى ورقة ٣٤ ، غاية المرام باخبار سلطنة البلد الحرام عبد العزيز بن عمر بن فهد ٣ : ٥٥٣

وظل جمال الدين ابو السعود حتى ذي الحجة سنة ٩٠٧هـ (١٥٠١م)[١] حيث قتل تعزيراً باغراقه في البحر بالقنفده وسبب ذلك ان الشريف بركات بن محمد تخيل له انه السبب في اشعال الفتنة التي قامت بينه وبين اخوته[٢] وقيل انه ما فعل ذلك الا بعد ما تأكد ووجد لديه مكاتبات بينه وبين الشريف احمد يستحثه فيها على الخروج على اخيه بركات[٣] وظلت وظيفة ناظر الحرم شاغرة حتى وليها باش الترك بمكة الأمير بكباي[٤] في ذي الحجة من السنة التالية اي سنة ٩٠٨هـ (١٥٠٢م)[٥] وفي المحرم من سنة ٩٠٩هـ (١٥٠٣م) عين الصلاحي محمد بن محمد جمال الدين ابو السعود ابن البرهان ابراهيم بن ظهيرة ناظراً للحرم عوضاً عن الباشيبكباي، وظل الصلاحي حتى نهاية سنة ٩٢١هـ (١٥١٥م) وذلك على ما جاء في بلوغ القرى[٦] من انه قبض عليه من قبل امير المحمل المصري علان الاشرفي الدوادار[٧].

وترجم له الشيخ نجم الدين الغزي في الكواكب السائرة[٨] فقال: « جرت له محنة في ايام الجراكسة وهي ان السلطان الغوري حبسه بمصر من غير جرم ولا ذنب بل للطمع في مال يأخذه منه على عادته، ولما خرج بعساكره من مصر لقتال السلطان سليم العثماني اطلق كل من في حبسه من ارباب الجرائم وغيرهم، ولم يطلق صاحب الترجمة، بل ابقاءه في الحبس، وسافر فقتل في مرج دابق، فلما وصل الخبر بقتله وكُسر عسكر الجراكسة إلى مصر وتسلطن طومان

---

١ ـ بلوغ القرى ١٢٨ب، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع/محمد بن علي الشوكاني ٢ : ٨٠

٢ ـ انظر صورة ما حدث بين جمال الدين بن ظهيرة والشريف محمد بن بركات في بلوغ القرى ١٢٦ب، ١٢٧ب

٣ ـ سخط النجوم العوالي في معرفة الاوائل التوالي /عبد الملك العصامي ٤ : ٢٨٤

٤ ـ بلوغ القرى ١٢٥ب

٥ ـ المصدر السابق ١٢٦ب

٦ ـ المصدر السابق ١٢٦ب

٧ ـ درر الفرائد المنظمة ٣٦٠

٨ ـ الكواكب السائرة بأعيان العاشرة / نجم الدين الفزي ١ : ٢٩

باي ، توجه السلطان طومان باي الى الحبس ، واطلق القاضي صلاح الدين ، ثم لما وصل السلطان سليم خان الى مصر ، جاء اليه القاضي صلاح الدين فاكرمه وعظمه خلع عليه وجهزه الى مكة معزوزاً مكرماً مع الاحسان اليه ».

وبدخول السلطان سليم مصر انتهت فترة الحكم المملوكي على الحجاز ومصر وغيرها من البلاد الاسلامية ، ولا استطيع هنا ان اجزم بان السلطان سليم عندما خلع على القاضي صلاح الدين وجهزه الى مكة ان يكون قلده او اعاده على وظائفه التي كان عليها فهذا امر لايستبعد ولكن لا يمكن الجزم به كما اني لم اقف على نص يبين من هو الذي شغل وظيفة صلاح الدين هذا بعد القبض عليه وارساله الى سجن الغوري بالقاهرة ، وعلى هذا فاني اعتبرت صلاح الدين ابن ظهيرة هو آخر من ولي نظر الحرم في العصر المملوكي والله أعلم .

وبعد هذا العرض استطيع ان اقدم بياناً باسماء الذين تولوا امر هذه الوظيفة في العصر المملوكي مرتين ترتيباً زمنياً حسب توليهم امر هذه الوظيفة ، وهم كالتالي :

١ ـ منصور بن ابي الفضل محمد بن ابي علي الطائي الزعفراني عفيف الدين ابو المظفر المعروف بابن منعة .
٢ ـ محمد بن عبد الله الطائي ابو عبد الله ابن منعة .
٣ ـ موسى بن حسين بن موسى بن عبد الرحمن الشيباني .
٤ ـ محمد بن حجاج بن ابراهيم الحضرمي المعروف بابن مطرف الاشبيلي .
٥ ـ محمد بن عبد الله الحموي الشافعي ضياء الدين ابو الغنائم .
٦ ـ محمد بن احمد بن قاسم بن عبد الرحمن الحرازي تقي الدين ابو اليمن .
٧ ـ محمد بن احمد بن عبد العزيز النويري كمال الدين ابو الفضل .
٨ ـ احمد بن ظهيرة بن احمد بن عطية بن ظهيرة شهاب الدين ابو العباس .
٩ ـ احمد بن محمد بن احمد النويري محب الدين ابو البركات .
١٠ ـ محمد بن احمد ـ الماضي ـ عز الدين ابو المفاخر .
١١ ـ محمد بن عبد الله بن ظهيرة جمال الدين ابو حامد .
١٢ ـ محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة كمال الدين ابو البركات .

١٣ ـ محمد بن محمد بن محمد بن حسين جلال الدين ابو السعادات
١٤ ـ محمد بن احمد بن محمد النويري كمال الدين ابو الفضل .
١٥ ـ محمد بن احمد بن الضياء الصاغاني الحنفي .
١٦ ـ محمد بن علي الشيبي .
١٧ ـ داود بن علي الكيلاني .
١٨ ـ سودون المحمدي .
١٩ ـ محمد بن قاسم الششيني المحلى ولي الدين ابو اليمن .
٢٠ ـ محمد بن محمد بن علي بن احمد النويري امين الدين ابو اليمن
٢١ ـ بدر الدين الطاهر .
٢٢ ـ بيرم خجا تتاري .
٢٣ ـ برديك التاجي .
٢٤ ـ ضوغان شيخ الاحمدي .
٢٥ ـ ابراهيم بن علي بن محمد برهان الدين ابن ظهيرة .
٢٦ ـ احمد بن محمد بن محمد بن ظهيرة محب الدين .
٢٧ ـ محمد بن ابراهيم بن علي بن ظهيرة جمال الدين ابو السعود .
٢٨ ـ الامير بكباي .
٢٩ ـ محمد بن محمد بن ابراهيم بن علي بن ظهيرة صلاح الدين .

مهام ناظر الحـــرم :

نستطيع ان نستخلص مما ورد في المصادر المعاصرة عن ناظر الحرم مهامه الريئسية التي كانت منوطة به في العصر المملوكي وهي :

١ ـ الاهتمام بمصالح الحرم والاشراف على عمارته والنظر فيما يخص الخليفة من المصالح ، وذلك كما جاء في التقليد الذي قلده الخليفة العباسي لوجيه الدين الانصاري ، وابن اخيه شرف ، حينما قلدهما امر الحرمين حيث جاء في التقليد « ويعتمد عليهما في الاهتمام بمصالحه والقيام بعمارته وحضورهما للخطبة لنا والسكة باسمنا ، والسبيل والمحمل وصعود الاعلام العباسية

المنصورة الى جبل عرفات قبل اعلام زعماء البلاد من جميع الجهات وان يكاتبا زعماء الحجاز واليمن وسائر البلاد بالطاعة لله ورسوله وامير المؤمنين ـ اعز الله انصاره ـ باجابة بيعته وطاعته وعونه واخذ البيعة له وعلى من يليه من الرعايا »
ولكن الذي جاء في نص التقليد هذا من حيث النظر في مصالح الخليفة لا اخاله الا ان يكون خاصاً بهما فلم اقف على غيرهما انهما قاما بهذه المهمات التي تخص سلطة الخليفة .

٢ ـ الاشراف على صيانة المسجد الحرام ـ والقيام بامر الوظيفة ـ ورعايته وتهيئته للمسلمين حتى يتمكنوا من الاقامة به لاعماره بالعبادة ، وذلك كما فعل ابن الضياء الحموي لما دخل السيل في المسجد الحرام في سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧م)[١] .

٣ ـ مراقبة سلامة المسجد الحرام من وجود خراب معماري فيه ، فجاء في اتحاف الورى[١] أن الأمير تنم ناظر الحرم ومشد العمائر به خرج في يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة ٨٤٦هـ (١٤٤٢م) بعد الصلاة ورأى ما كان فيه من خراب وكتب بذلك محضراً ، ثم امر بهدم دكة كانت عند باب البغلة بالمسجد الحرام ، لما تسببه من ضرر وكانت هذه الدكة مستحدثة احدثها سودون المحمدي في السنة السابقة في حين توليه امر النظر في مصالح الحرم خص بها قاضي مكة الشافعي ابو اليمن النويري[٣] .

٤ ـ المشاركة في حماية البلد من الغزو فلما غزا السيد زاهر بن الشريف ابو القاسم مكة ليلة الثلاثاء عاشر شعبان من سنة ٨٤٧هـ (١٤٤٣م) وصاح الصائح في مكة فخرج الأمير تنم ناظر الحرم مع الأمير الراكز اقبردي وبعض المماليك مع شعيب العمري وأخذوا على أثرهم في تتبع الغزاة[٤] .

٥ ـ اجراء بعض التحسينات في المسجد الحرام أو الكعبة فيما لا يتصل بالعمارة .

---

١ ـ انظر البحث ص ١٤٨ - ١٤٩
٢ ـ اتحاف الورى ٤ : ١٨٢ ، ١٨٤
٣ ـ المصدر السابق ٤ : ١٧ ، ١٧٤ ، ١٨٤
٤ ـ المصدر السابق ٤ : ٢١٠-٢١١

فشئون التعمير من خصوصيات شاد العمائر بالمسجد الحرام[1] ففي ذي القعدة حلّى ناظر الحرم بيرم خجا تتارى باب الكعبة الشريفة بالفضة وطلاه بالذهب[2] .

٦ ـ حضور قراءة المراسيم السلطانية التي تقرأ في المسجد الحرام ، فقد جاء في اتحاف الورى[3] :

« ففي صبح يوم السبت خامس جمادى الاولى سنة ٨٥٨هـ (١٤٥٤م) قرئت اربع مراسيم بالمسجد الحرام وحضر ناظر الحرم طوغان شيخ قرأة هذه المراسيم » :

٧ ـ ومن ضمن مهمات ناظر الحرم عزل الفراشين في المسجد الحرام واقامة من يراه فجاء في اتحاف الورى[4] : فيها في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادي الآخر سنة ٨٧٦هـ (١٤٧١م) عزل ناظر الحرم برهان الدين بن ظهيرة الشيخ عمر بن بيسق عن مشيخة الفراشين واقيم عوضه احمد بن عبد السلام الفيومي النجار

٨ ـ تحصيل الاموال العائدة للمسجد الحرام وان كانت خارج البلد فقد ورد في بلوغ القرى[5] ما نصه فبعد موسم سنة ٨٩٢هـ (١٤٨٦م) ارسل ناظر الحرم برهان الدين ابن ظهيرة وكيل السيد بن بركات وهو النور علي بن محمد بن احمد بن محمد بن عثمان الصنبداوي المكي الملقب بابن عاشور صحبة الحاج العراقي وذلك لتحصيل اموال عائدة للحرمين بالعراق) .

مرتبات ناظر الحرم

وان كنت لم أقف على نص صريح بالنسبة للعطاء الذي يتقاضاه ناظر الحرم مقابل عمله هذا إلا أن هذا الأمر قائم لا محالة فلابد أن يكون لناظر الحرم دخل

---

١ ـ ووظيفة شاد العمائر وظيفة مستقلة يتولاها امراء اتراك وعندما اصبحت وظيفة ناظر الحرم تضاف الى بعض امراء الترك اصبح يضاف لهم النظر مع شاد العمائر

٢ ـ اتحاف الورى ٤ : ٢٧٣

٣ ـ اتحاف الورى ٤ : ٢٢٨

٤ ـ اتحاف الورى ٤ : ٥٤٠

٥ ـ بلوغ القرى لوحة ٣٩

ثابت وسخي إما على شكل مرتب منتظم ، أو يكون على هيئة عطاء مقطوع أو جزء مخصص من ريع وقف معين ، وإلا لما بذل داود الكيلاني مالاً للسلطان من أجل أن يحصل على تقليد من السلطان لتولي هذه الوظيفة ، فهو يدرك أنه بتوليه هذه الوظيفة سيعوض ما بذله للسلطان من مال[1] .

بعد هذا اقول ، ولعل الأيام تكشف لنا عن حجة وقف أو وثيقة أو نص يظهر لنا مصدر رزق صاحب هذه الوظيفة .

---

١ ـ انظر البحث ص ١٦١

خاتمة البحث

الحمد لله على ما تفضل والصلاة والسلام على خير خلقه الهادي إلى طريق الحق الأمثل ، وبعد استقراء المصادر التاريخية المعاصرة قد تعذر علي الخروج منها بنصوص صريحة تعطينا صورة واضحة عن نشأة هذه الوظيفة غير انه بالاستعانة بكتب التراجم استطعت ان احصل على قائمة كاملة لتراجم من تولوا هذه الوظيفة في العصر المملوكي ، ومن خلال هذه التراجم اتضحت لنا الصورة عن هذه الوظيفة وما يتعلق بها من مهام في العصر المملوكي خاصة .

ومن خلال العرض السابق لتراجم نظّار الحرم في العصر المملوكي استطيع ان استخلص النتائج التالية :

١ ـ ان هذه الوظيفة كانت قائمة من قبل العصر المملوكي وكانت تعرف بمشيخة الحرم ، ومتوليها هو شيخ الحرم ، ثم بدأ لفظ الناظر يطلق على متوليها منذ ولاية الضياء الحموي ، لكنه كان مضافاً الى لفظ المشيخة والذي ولي امر هذه الوظيفة في حوالي منتصف القرن الثامن الهجري .

٢ ـ ان هذه الوظيفة مناطة بأصحاب المذهب الشافعي دون غيرهم وبدأ ذلك يظهر بوضوح ايضاً منذ ولاية الضياء الحموي وظلت في الشافعية حتى نهاية العصر المملوكي ولم تخرج عنهم الا ثلاث مرات ثم تعود اليهم فحدث ذلك في سنة ٨٢٧هـ (١٤٢٣م) عندما صارت الى قاضي الحنفية ابن الضياء الصاغاني وظلت بيده قرابة ثلاث سنوات ، ثم اعيدت الى الشافعية مرة ثانية سنة ٨٣٠هـ (١٤٢٦م) ثم خرجت عنهم الى الامراء الاتراك من سنة ٨٣٧هـ (١٤٣٣م) وظلت بيد الامراء الاتراك الى سنة ٨٥٩هـ (١٤٥٤م) حيث عادت الى الشافعية وخرجت عنهم المرة الثالثة في ذي الحجة من سنة ٩٠٨هـ (١٥٠٢م) الى يد امير الترك بمكة الامير بكباي ، ولكنها لم تدم طويلاً اذ عادت الى الشافعية في المحرم من سنة ٩٠٩هـ (١٥٠٣م) وظلت معهم حتى نهاية العصر المملوكي .

٣ ـ وهذه الوظيفة كانت تجمع في العصر المملوكي مع الحسبة والخطابة ، وكثيراً ما كانت تضاف الى القاضي الشافعي ـ هذا في حالة اسنادها للشافعية ،

وكذلك في فترة توليها القاضي الحنفي ، وعندما تخرج من القضاة تكون في الخطباء والخطابة في مكة في هذه الفترة لم تكن الا في الشافعية ايضاً ، اما في حالة توليها امراء الاتراك فكان يضاف الى النظر والحسبة وظيفة مشد العمائر بالمسجد الحرام واول من وليها من الخطباء هو الضياء الحموي الشافعي واول من وليها من القضاة التقي الحرازي ، هذا بالنسبة للعصر المملوكي .

٤ ـ ان هذه الوظيفة كانت تُورَّث في بعض الاحيان في العصر المملوكي كما حدث من تولي ابي عبد الله بن منعة بعد عمه منصور ، وكذلك من توليها الجمال ابن ظهيرة بعد والده ، البرهان ، ثم وليها الصلاحي بن الجمال بن ظهيرة في آخر العصر المملوكي .

٥ ـ ان امر العمارة في المسجد الحرام ليس من شئون ناظر الحرم وان امر العمارة منوط بشاد العمارة فقط .

٦ ـ ان ناظر الحرم مهمته تنحصر في الامور الدينية والادارية والتعليمية في الحرم وما يتعلق بذلك من النواحي المالية .

٧ ـ ان للناظر ان يعين نائباً له في حالة غيابه عن البلد او في حالة مرضه ، كما كان من حال جمال الدين بن ظهيرة ، او اذ كان الامر منه متعلقاً بشأن الحرم في خارج البلد كما كان من شأن برهان الدين بن ظهيرة .

٨ ـ لم يحصل لاحد ان جمع مهمة النظر في شئون الحرمين الشريفين ـ اي مكة والمدينة ـ سوى منصور بن منعة وسودون المحمدي وان كان ابن قاسم جمع له مع نظر الحرم الشريف مشيخة الخدام الطواشيه بالمسجد النبوي .

وبعد هذا العرض لاهم نتائج هذا البحث ارجو ان اكون قد وضعت اساساً ينطلق منه الباحثون لمعرفة نشأة هذه الوظيفة التي ظلت موضع اهتمام المسئولين في الدولة الاسلامية عبر العصور ، وذلك لما لرعاية شئون المسجد الحرام من اهمية كبرى في نظر المسلمين . وتتمثل هذه الوظيفة في العهد السعودي في وظيفة الرئيس العام لشئون الحرمين .

ثبت المصـــادر

١ ـ اتحاف الورى باخبار ام القرى/نجم الدين عمر بن فهد . (منشورات معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي جامعة ام القرى).
٢ ـ الاحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ريتشارد مورتيل . (الرياض عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود سنة ١٤٠٥هـ) .
٣ ـ اخبار مكة/ابو الوليد محمد بن عبد الله الازرقي (منشورات دار الثقافة).
٤ ـ ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الاحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجري مقال الدكتور/احمد السيد الدارج (الجمعية المصرية للدراسات التاريخية الموسم الثقافي ٦٧/١٩٦٨م).
٥ ـ البداية والنهاية/ابو الفداء اسماعيل بن كثير (بيروت ، دار الفكر).
٦ ـ البدر الطالع بذكر محاسن من بعد القرن السابع/محمد بن علي الشوكاني . (القاهرة مطبعة دار السعادة/١٣٤٨هـ).
٧ ـ بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى عز الدين عبد العزيز بن فهد . (مصورة مخطوط محفوظة بمركز البحث العلمي جامعة ام القرى تحت رقم ٧٣).
٨ ـ التبر المسبوك في ذيل السلوك/شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاري . (القاهرة/١٣٤٨هـ).
٩ ـ الحجاز واليمن في العصر الايوبي د/جميل حرب محمد حسين . (جدة ١٤٠٥هـ).
١٠ ـ الدُّر الكمين بذيل العقد الثمين نجم الدين عمر بن فهد . (مصورة مخطوط محفوظة بمركز البحث العلمي جامعة ام القرى تحت رقم ٢٥١).
١١ ـ درر الفرائد المنتظمة في اخبار الحج وطرق مكة المعظمة/عبد القادر بن محمد الجزيري . (القاهرة مطبعة دار السعادة ١٣٨٤هـ).

١٢ ـ السلوك لمعرفة دور الملوك/تقي الدين أحمد المقريزي . (القاهرة الطبعة الثانية).
١٣ ـ سمط النجوم العوالي في معرفة الأوائل والتوالي عبد الملك بن حسين العصامي . (القاهرة المطبعة السلفية).
١٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ابن العماد عبد الحي أبو الفلاح . (بيروت دار المبرة).
١٥ ـ صبح الأعشى في صناعة الانشاء / أبو العباس أحمد القلقشندي . (القاهرة ١٤٠٥هـ).
١٦ ـ الضؤ اللامع لأهل القرن التاسع / شمس الدين محمد السخاوي . (بيروت دار مكتبة الحياة).
١٧ ـ طبقات الشافعية الكبرى/تاج الدين عبد الوهاب السبكي . (القاهرة دار احياء الكتب العربية).

١٨ ـ العبر في خبر من عبر/الذهبي . (بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ).
١٩ ـ العقد الثمين في أخبار البلد الأمين/تقي الدين أحمد بن علي الفاسي . (القاهرة مطبعة السنة المحمدية).
٢٠ ـ غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام/عز الدين عبد العزيز بن فهد . (معهد البحوث العلمية الاسلامي جامعة أم القرى).
٢١ ـ الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية / د حسن الباشا . (القاهرة ١٩٦٦م).
٢٢ ـ الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة/نجم الدين الغزي . (بيروت دار الأفق الجديد).
٢٣ ـ لسان العرب/ابن منظور . (بيروت دار صادر).
٢٤ ـ معجم الشيوخ/نجم الدين عمر بن فهد . (الرياض دار اليمامة).
٢٥ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/جمال الدين يوسف بن تغري بردي . (القاهرة وزارة الثقافة والارشاد القومي/المؤسسة) المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر).
٢٦ ـ نظم دول سلاطين المماليك/عبد المنعم ماجد . (القاهرة ١٩٧٩م) .